

النموذج العبراني فى الأدب الأمريكى

لا أعتقد أننا اليوم بحاجة إلى تبرير معرفتنا بثقافة الغرب، فلم تعد هذه المعرفة أمراً محتوماً فقط، وإنما هي ضرورة نحتاج إليها، ضرورة لو لم تأتينا وتنتشر بيننا لوجب أن نسعى إليها ونمتلكها حق الامتلاك. ليس لأننا فقراء ثقافة متهاكون على نتاج الحضارات أينما وكيفما جاء ذلك النتاج، فلسنا كذلك طبعاً، وإنما لأسباب كثيرة تأتي في مقدمتها الحقيقة البديهية وهي أن تلاقح الحضارات وامتزاج الثقافات من سنن الحياة وأسباب العمران البشري. غير أن هناك إلى جانب هذا السبب البدهي سبب آخر أقرب وأكثر إلحاحاً تكون فيه المعرفة سلاحاً ودرعاً واقياً وأخذاً بزمam المبادرة من حيث هي انتقاء حضاري ورؤية. إننا بحاجة إلى جعل هذه المعرفة معينة لنا في هذه المواجهة، ولا أعتقد أن هذا سيتحقق إلا بأن نمضى نحن إلى ثقافة الغرب وتاريخه فندرسهما دراسة واعية مستبطنة تدخل العمق لتعرف كنهه وتترك أبعاده.

إن ثمة فرقاً بين أن نعرف ثقافة الغرب لنستفيد منها وأن نعرف تلك الثقافة لنذكر جوهرها ومنابع نشأتها والسياق الحضاري الذي آل بها إلى ما آلت إليه. وما أتحدث عنه هو هذه المعرفة بالجوهر. إن الغرب حين أقام مؤسسته الاستشراقية في القرن التاسع عشر لم يكن يهدف بالدرجة الأولى إلى الاستفادة مما لدى الشرقيين وإنما إلى الاحتواء المعرفي بالرغم من أن من الاهتمام الاستشراقي ما كان ذا هدف نبيل ومفيد لنا أيضاً. لكن ثنائية المعرفة والقوة التي درسها وأوضحها إبنوارد سعيد في كتابه المعروف عن الاستشراق، هذه الثنائية كانت مقدمة طبيعية للسيطرة الاستعمارية والاستلاب الحضاري الذي لا نزال نعاني منه والذي كان أحد أسبابه الرئيسة ذلك الانكباب الاستشراقي على تاريخ الثقافة العربية الإسلامية وتمحيصها. إننا اليوم